كتب قرأتها :

يقظة العرب

تأليف المرحوم جورج أنطونيوس

ترجمة الأستاذ على حيدر الركابي

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

يقول مؤلف هذا الكتاب المرحوم جورج أنطونيوس فى مقدمته إنه « لا يرمى إلى تدوين التاريخ النهائى لليقظة العربية ... بل إلى رسم الخطوط الكبرى لأصول تلك الحركة » هذه الحركة التى مهدت تربتها ، وبذرت بذورها ، ونبت نبتها ، ونضج حبها ، وتم حصدها فى خلال نصف قرن ، لا بأفاعيل طافرة ، أو وثبات غير متزنات ، بل بعزيمة جبارة ، ومثابرة عنيدة ، مستمدتين من إرادة أمة موحدة لها فى بطون التاريخ فصول كتبها أجداد عباقرة أسمعوا الدنيا نداءهم ، ولقنوا العالم تعاليمهم ، وما هؤلاء الأحفاد سوى جيل وبعض جيل من أبناء الشام أيقظتهم حركة الانقلاب العثمانى عام ١٩٠٨ فاستنهضتهم فنهضوا إلى العمل فعملوا دائبين ملبين غريزة الجد فى طبيعتهم ، وقد دفعوا كل ثمن وبذلوا كل ما يستطاع بذله ، وجادوا بأقصى غايات الجود ، ونالوا نصيب المجاهد المؤمن ، وفازوا بتحقيق أمانيهم واستقلال بلادهم وحريتها ولم يكن ما قربوه من أرواح وأموال فى سبيل الوطن بالثمن الفادح الباهظ

تكاد تكون سطور هذا الكتاب بأبوابها وفصولها ووقائعه بأحداثها وتقلباتها وعظاته بمغامراتها وأهوالها . أقول : تكاد تكون وقائع « أنا » بالذات ، وما أوفر عدد من يقول « أنا » فى كتاب يقظة العرب ، إذ ما من فتى فى بلاد الشام سمع نداء الحرية يهدر كالسيل العرم متدفقاً من حناجر الآباء للاستقلال والحرية إلا تيقظ روحه لها وتلفح وعيه بجوهرها ، وسار على منوال أبيه فى اتباع أعمال الرجال الرسناء لنيلهما ، وقد نالها بفضل إخلاصه لوطنه وقوميته وفنائه فى أمته

مؤلف كتاب « يقظة العرب » عالم بحاثة بفطرته ، لا يؤخذ بالظواهر فيعود إلى البواطن ، ولا تجذبه الفروع فى الشجرة ، ولا الجذور المطمورة فى التربة ، بل يرضيه أن يفتش عن مصادر غذاء تلك الجذور وأنواعها ليعلم الدواعى الباعثة على تلك التغذية والغاية المرومة منها .

نعلم « كلنا » أبناء هذا الجيل أن العامل الأكبر فى يقظتنا يعود كما قلت إلى عام ١٩٠٨ وعندنا على هذا العلم شبه أدلة استوحيناها من استقراء عقلية آبائنا ومن مبلغ وعيهم القومى وإحساسهم بالوطنية العربية ، ولكن المؤلف البحاثة قد عاد بنا إلى البذور الأولى ، إلى الفواصل بين الدعوة إلى العروبة والدعوة إلى الإسلام والصلة الروحية بينهما ، ثم إلى الفتح العثمانى .

للحكم العثمانى آثار واضحة المعالم فى نفوس العرب ، لم يكتف المؤلف بتقصيها فى عهد السلطان عبد الحميد ، وهى جامعة للأسباب شاملة للنتائج التى قلبت الأوضاع العربية ، من مطالبته بالإصلاح فى ظل الحكم العثمانى ، إلى العمل سراً على الانفصال عن الترك ، إلى العوامل التى دفعت بجماعة « الاتحاد والترقى » الذين خلعوا السلطان عبد الحميد الطاغية ليقيموا أنفسهم طغاة مثله ، فكانت هى نفسها عوامل فعالة دفعت الأمة العربية إلى عمل إيجابى وهو بناء دولة عربية لحماً ودماً . أقول : لم يكتف المؤلف بهذا ، بل عاد بنا القهقرى إلى عهد محمد على وفتوح الشام على يده ، وشروعه فى تشييد مملكة عربية ، واختلاف ابنه ابراهيم معه فى الرأى ، لأن الأول كان فى طبيعته خلافاً للممالك ، بينما كان الثانى يعمل على الاحتفاظ بتلك الممالك ، وإن الأول كان يرى أن العرب ليسوا أهلا لحكم أنفسهم ، بينما كان الثانى يعتقد عكس رأى أبيه ، ولم ينس المؤلف موقف الإنجليز من محمد على وصدهم إياه عن تأليف المملكة العربية ، وقد خلص من هذا البيان المقتضب إلى ذكر تأليف جمعية أدبية فى بيروت قبل مستهل هذا القرن ، كان النصارى هم القائمين بها ، فما لبثت أن دخلها المسلمون والدروز ، ويقول إنها كانت البذرة الأولى لنهضة الفكر العربى

ويسهب فى وصف الإرساليات ونشرها المعارف ، وتزاحم أقطابها وتنافسهم فى تعليم أبناء البلاد علومهم ، وكيف لم تكن تعاليمهم خيراً محضاً ، وكيف تولدت الطائفية عند أبناء البلاد من جراء هاتيك التعاليم المتضاربة الأسباب والغايات . يمضى المؤلف البارع فى سبيله يتتبع سير الحوادث ، وقد اطردت بانتظام حتى انقدت نيران الحرب العالمية عام ١٩١٤ فيذكر مجئ الشريف عبد الله إلى مصر وتحدثه إلى كتشنر والعروض التى تقدمت للانتقاض على الحكم التركى ومخاوف الإنجليز من عواقب إعلان الترك للجهاد الدينى وقيام هؤلاء فعلا بإعلانه ، ونشر الراية المحمدية ، ووقوف سورية على مفترق الطرق توازن بين الوقوف إلى جانب الأتراك ، وبين شد عضد الشريف حسين المتحفز للثورة

يعرج المؤلف على ذكر العهود التى قطعتها بريطانيا العظمى للشريف حسين ورسائل مكماهون ، فنرى الثورة العربية تعلن فى مكة وتندلع نارها وتمتد حتى تدخل قواتها مدينة دمشق ويحتل رجالها البلاد السورية ، ونقرأ فى فصل الكتاب الثالث عهود الحلفاء المتناقضة ونرى مبلغ تكالبهم على اقتسام غنائم الدولة التركية وتنافسهم فى اغتصاب البلاد العربية واتفاق سيكس بيكو ورسالة بلفور إلى الملك حسين ومفاوضات لويد جورج للصهيونيين ووعد بلفور لليهود ، ثم التصريح البريطانى الفرنسى . ولعل أمتع ما فى هذا الفصل خيانة بريطانيا للعهد ومؤتمر القاهرة وأعمال لورنس والانتدابات على العراق ولبنان وسورية ، وقيام الثورات متعاقبة فى سورية ، ثم يأتى دور عقدة فلسطين ، وحق العرب ، وادعاء اليهود ، وهى العقدة الباقية تنتظر الحل العادل

وددت لو يتسع المجال فأقف برهة ليست بالقصيرة حيال بعض رسوم خطوط هذا السفر الجليل أضم بعض حلقات مفقودة لهذه السلسلة المحكمة العقد ، وأزعم أن لو اتصل المرحوم جورج أنطونيوس مؤلف هذا الكتاب بالكثيرين ممن ألجأهم المرض ، أو السن ، أو الضرورات ، إلى التخلف عن ركب الجهاد ، أو بالذين خلوا الطريق للمتقدمين الطامحين ، أو النهازة المتفرصين ، لكان استوفى أكثر بحوثه وشارف بها على الكمال

اضطلع بترجمة هذا السفر النفيس حضرة الأستاذ على حيدر الركابى فحق له الشكر الطيب والثناء العاطر يسديه إليه كل عربى بعد إذ يسر لأبناء العربية مراجعة سجل حياتهم وقد سلكوا فيها مسالك بناة الملك .

أبو زيد الهلالى

تأليف الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لهذا الإسم بريق ولمعان ، وماض مجيد ، وحاضر خافت زاكد ، ولكن هذا الحاضر مع خفوته وركوده لم يذهب ببهاء هذا الإسم ، ونضارته ، وما له فى نفوس العامة من أفراد الشعب من التجلة والاحترام . فيكاد يعرفه العامة أكثر مما يعرفه الخاصة — وأعنى بالمعرفة وفرة المعلومات وكثرتها ، لا واقعيتها وحقيقتها — فهو متصل بنفوسهم وحياتهم اتصالا وثيقاً ... يسمعون عن بطولته فى المقاهى والأندية الشعبية ، ما يلهب حماستهم ، ويشعل قلوبهم وأفئدتهم شجاعة وإقداماً ، ويقدم لهم لونا من الخيال الحبيب ، يرضيهم ويطربهم ، ولا يرتضون بغيره بديلا . . !!

وإذا كان من لوازم الأدب التأثير فى النفس ، فإن هذه القصة ، بلغت درجة لم تبلغها قصة غيرها على كثرة ما كان ينشر ويذاع بين هذه الطبقات ... إذ ظلت حديث المجتمع المصرى ثمانية قرون ، وظل شاعر الربابة يحدث بها الناس من العهد الفاطمى إلى اليوم ، بيد أن شعر القصة اليوم أصبح شبحاً ماثلا ولوناً حائلا يتلاشى صوته فى ضجيج العصر ، وجلجلة المذياع .

وليس من السهل تناول هذا الموضوع ، فلا يزال حظ الهلالية فى التاريخ قليل ، وأدباؤنا لا يعنون العناية اللائقة بهذا القصص الشعبى ، بل تركوه فى أيدى الوارقين — من الذين لا يعنيهم إلا جمع القرش — يتناولونه بالتحريف والتصحيف . حتى أصبح من العسير الوصول إلى الحقائق الناصعة ، والنتائج السليمة التى ترضى الباحث ويطمئن إليها الخاصة ، ولا يرتابون فيما يقرءون . . ووبل للموضوع يفقد ثقة الخاصة ، ولا ينال تقديرهم واحترامهم ... !!

وبنو هلال وسليم من بطون مضر الكثيرة المتعددة ، الذين كانوا يعيشون قبل الإسلام عيشة البداوة والخشونة . ثم